حديقة المقتطف

قصيدتان

للشاعر المصري خيري

صفصافتي

الارواح العائدة

نقلهما عن الفرنسية

جرجي نيقولاوس

قصيدتان

للشاعر المصري خيري : نقلها عن الفرنسية : جورجي يقولاوس

صفصافتي

أيتها الصفصافة ! ياصفصافة دموعنا ، ذات الاوراق العيية التعبة ، انك لتنحنين دون رجعة ، على ثرى الاموات ، وتهدلين فوق باقات الزهور الداكنة الميتة ، ذات الاكام الثلجية ، التي هي ازهار آلامنا وأحزاننا

يا أشجار الغابات ، التي يعطرها الندى ، واقفة كالمردة ، وقد انتصبت اغصانها فأشبهت قننها سهام القباب الذاهبة صعداً ، في الفضاء الورديّ ، وهي تكاد تمس السماء

ورياح العواصف الهوجاء ، وهي الجبارة التي لا يسلس لها قياد ، تنثر أوراق هذه الاشجار ، طائحة بها ، فتتصل الاشجار آلامها بصبر وجلد ، وهي تضطرب تحت وابل الامطار ، وقد ادركتها حشرجة الموت ، لكن ذلك لا يحني هامتها ، ولا يثني من عزمها

ومع ذلك نجد هذه الاشجار القاتمة العابسة ، ضحية الصقيع القارص ، في اكثر الاحيان ، الغبطة والبهجة ، اذا ما انطلق ، في رابعة النهار ، وتحت ظلالها الوارفة تغريد الطيور الصداحة البهج ، المختلف الالحان ، الذي يشبه نشيد جوقة ، ذا تراديد طويلة المدى ، شجية التوانيع

. . او اذا ما جذبت اليها من بعيد ، زمرة من العشاق الجذلين ، فتظلل تحت اغصانها الحب ومباهجه العديدة ، ولذة كلماته العذبة المسكرة ، المملوءة سحراً وشجواً فتمتزج أحاديث الهوى وتباريح الغرام ، بحفيف اوراق هاتيك الاشجار الحزينة ، فتتكون من ذلك الحان وأغان ، تملأ القلوب لذة وحبوراً

اما انت ، ايتها الصفصافة الساكنة ، الكئيبة ، المنعزلة ، البعيدة عن مباهج الحياة ، المنزوية في ركن الوحدة ، فلا يطرق أذنيك ، سوى تنهدات وأنات اولئك الاحياء الباقين ، وزفراتهم المثقلة ، المتساقطة من اعماق نفوسهم المتفجرة

وهذا النشيد المميت ، الذي سيشدو بك ، يحني بحزن اغصانك المنتحبة الباكية ، فكأنها بهذا الندب الابدي ، تنقبل الآلام المنبعثة من قلوب الاحياء المنفطرة

يا صفصافة دموعنا ، يا صديقة متوسدي الثرى ، قد يكون انحناؤك على اجداث الموتى ، فوق زهور الراحلين ، ذات الاكام الثلجية ، حناناً منك ورأفة ، فتميلين لتبكي على تلك الارض الغامرة ، شآبيب السلوى ، وتفيضي عليها حنانك ورحمتك

أجل ! في جوف الليل الهادئ ، تحسّنا ارواحُ موتانا ، تتحدّق في قلوبنا الوسيعة ، المُعدّة لاحتوائها ، كأنها ازاهير الليل ، المتفتحة الاوراق والاكمام ، التي يكتمل رواؤها ، عند ما تقع عليها اعين المحبين

قد تكون هذه الارواح ، ارواح ابناء تدفعها المحبة البنوية ، او ارواح امهات تحملها عاطفة الامومة ، فتتنسّم نزعات قلوبنا النبيلة ، حيث تحترق اميالنا ، وتذوب نزواتنا ، فتجدّد في افئدتنا الايمان ، الذي يشرّف احلامنا ، ذات المنازع العدائية

وانت ايتها الشقيقة الساهرة ، الحارسة ، المنبئة بما يُخبّئ لنا المقدور ، وانت أيتها الحبيبة الوفيّة ، ذات النزعات الحبية الخالصة ، وانت ايتها الاشباح ، ارثرحمدين ذكراك الحيّة ، اي نحن الباقين ، نحن الاصدقاء البعيدين ، المحتفين لمقامك الارضي الذي رحلت عنهُ

عندما يتملّكنا الكلال عقب الاوقات الصخّابة ، نشعر في قرارة نفوسنا ، بانجذاب الى الوحدة والانفراد ، لننعم بالهدوء والكينة ، في تلك الجنان الجميلة الحافلة بالاشباح المؤلمة ، السارية في تلك المفازة الغريبة ، ذات المناظر الخفية الجذّابة

وأنت يا ارواح الموتى ، الأمينة الحبيبة الينا ، تحركين بنفسك ، ذكرياتنا الماضية ، في احلامنا الهادئة ، فتمدين الينا يدك الخفية ، وتقودينا بتؤدة ، نحو اشجار السرو ، التي هي أشجار التنهدات والزفرات

ايتها الاشباح المحزنة ، يا اخوات الوحدة القاتلة ، انك تحرمينا بهذا التكين الشعري ، المؤلف من سيّال لا نهاية له ، يسكرنا ويُضرم عواطفنا ، ليتسنى للكردون طائف ، ان يُحدق على افئدتنا ، حنوك الكلي ، ورقتك السماوية

ايتها الرُّوح الحائر ، يا روح الام المتبخّر عطفاً ، السعيد بهذا العطف ، ليسهر بواسطة بكائهِ ، على ابنهِ العزيز ، ويحوطه بالحب الأسوي المتناهي . الذي لا ينضب معينهُ ، انك الروح الحب ، الذي يعذبهُ ابداً ، ذلك العطف الذي تتساقط اوراقه ، في قلب نقي ، لا يعتريه ندم ، ولا وخز ضمير

اجل ! ان الارواح تحسّنا في جوف الليل الهادئ ، ولكن في نهارنا الذي يملأه الضجيج الجنوني الكثير الصخب ، تتطاير في اكثر الاحيان ، اعز ذكرى لها ، تطاير الرماد تذروه الرياح ، فتمحو آثارها ، متغلغلة في طيات القدر المحتوم

صاح ! عند ما تتفجّر في قلوبنا هذه الاصوات العزيزة علينا ، لكرم عشرة وارتياح عودتها العطوف ، ولتقدّم بهذه المحبة العميقة ، التي تحنو على آلامنا وافراحنا ، ازنابق الطاهرة ، لأسمى واشرف حب ، تضطرم به حشى ، ويختلج به فؤاد